الشفاعة
بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم

دكتور/ عبدالرحمن عبدالله الحجيلان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النساء ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب ٧٠_٧١]

أما بعد:

فإن العقيدة أهم ما يعتني به المسلم ضبطًا وفهمًا وحفظًا، فعليها مدار النجاة في الدنيا والآخرة، وقد كان ديدن سلف هذه الأمة وخلفها العناية بالعقيدة كتابة وتدريسًا وتعليمًا، وصيانة لها وحفظًا، "ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[1]، وإن موضوع الشفاعة من المواضيع المهمة في باب العقيدة، فقد اعتنى به العلماء قديمًا وحديثًا فكتبوا عنه ضمن كتبهم أو أفردوا له مؤلفات خاصة، وذلك لكون الشفاعة مسألة عقدية لها أثر عملي ظاهر في العبادة، حيث كانت منطلق شرك الأولين والآخرين عندما ضلوا في فهمها، قال تعالى:﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ

(1)اقتباس من مقدمة الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية (١٨٠).

وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ [يونس ١٨].

وحرصًا من أ.د. وليد العلي ـرحمه الله تعالىـ على إفادتنا في هذا الموضوع، فقد كلفنا بإعداد بحث في الشفاعة، يتناول معنى الشفاعة، وأقسامها، وشروطها، وأدلتها، عند أهل السنة والجماعة، والشفاعة عند المخالفين وشبهاتهم فيها والرد عليها.

أهمية البحث:

١) ارتباط الموضوع بالعقيدة الإسلامية كونه جزءًا منها.
٢) وقوع الشرك قديمًا وحديثًا بسبب الخلل في هذا الباب.
٣) انتشار الشبهات حول الشفاعة، إثباتاً لمنفيِّها، ونفيًا لمُثْبَتها.

أهداف البحث:

١) العناية بالعقيدة الإسلامية.
٢) إصلاح الخلل في باب الشفاعة من خلال تبيين حقيقتها في الكتاب والسنة.
٣) الرد على شبهات المخالفين في موضوع الشفاعة.

خطوات البحث:

١) كتابة الآيات بالرسم العثماني مع العزو لرقم الآية والسورة.
٢) اعتماد الأحاديث الواردة في الصحيحين على غيرها من الأحاديث.
٣) إلحاق الآيات بتفسيرات علماء التفسير.

حدود البحث:

١) معنى الشفاعة لغة واصطلاحًا.
٢) الشفاعة عند أهل السنة والجماعة: أقسامها، معناها، أنواعها، أدلتها.
٣) الشفاعة عند المخالفين.
٤) شبهات حول الشفاعة.

سبب اختيار البحث:

أهمية موضوع الشفاعة، كونها كانت السبب في شرك الأولين، ووقعت فيها انحرافات من المتأخرين المنتسبين للإسلام.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى: **مقدمة** و**تمهيد** و**مبحثين** و**خاتمة** و**مراجع** و**فهارس**،

فأما **المقدمة:** فتتناول توطئةً للموضوع، وأهميته، وأهدافه، وسبب اختياره،وخطواته، وحدوده، وخطة البحث، والشكر والتقدير.

وأما **التمهيد** فيتناول معنى الشفاعة لغة واصطلاحًا،

وأما **المبحثان** فهما:

المبحث الأول: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة، وفيه **مطلبان:**

المطلب الأول: الشفاعة المثبتة، وفيه **ثلاث مسائل:**

المسألة الأولى: معنى الشفاعة المثبتة،

المسألة الثانية: أنواع الشفاعة المثبتة،

المسألة الثالثة: أدلة الشفاعة المثبتة،

المطلب الثاني: الشفاعة المنفية، وفيه **ثلاث مسائل:**

المسألة الأولى: معنى الشفاعة المنفية،

المسألة الثانية: أنواع الشفاعة المنفية،

المسألة الثالثة: أدلة الشفاعة المنفية،

المبحث الثاني: الشفاعة عند المخالفين، وفيه **مطلبان:**

المطلب الأول: المخالفون في الشفاعة، وفيه **مسألتان:**

المسألة الأولى: النافون للشفاعة المثبتة،

المسألة الثانية: المثبتون للشفاعة المنفية،

المطلب الثاني: شبهات المخالفين في الشفاعة والرد عليها، وفيه **مسألتان:**

المسألة الأولى: شبهات نقلية،

المسألة الثانية: شبهات عقلية،

وأما **الخاتمة** فتتناول نتائج البحث وتوصياته،

وأما **الفهارس** فتحتوي فهرس المراجع والمصادر.

الشكر والتقدير:

أتقدم بالشكر والتقدير لـــ: أ.د. وليد العلي _رحمه الله تعـــالى_ علـــى شـــكل الدعاء له بالرحمة والمغفرة؛ وذلك على ما بذله معي من متابعة إرشاد وتوجيه خـــلال البحث خاصة، والمادة العلمية عامة، فكان لما بذله أعظم الفضل بعد الله ﷻ في إنجـــاز هذا البحث على وجه مقبول، كما أتقدم بالشكر لأخي أ. مشاري العازمي لمساعدتي في بعض الأمور أثناء البحث، حيث استفدت من تجربته الحديثة في الماجستير.

والله الموفق والمستعان.

التمهيد: معنى الشفاعة لغة واصطلاحًا:

الشفاعة لغةً: من **شَـــفَـــعَ**،و**الشين** و**الفاء** و**العين:** أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، و**الشَّفْع:** خلاف الوتر، وهو الزوج،وعين **شافعة:** تنظر نظرين، و**شُفِعَتْ** لي الأشباح، أي: أرى الشخص شخصين لضعف بصري وانتشاره، وصاحب **الشُّفَّعَة**، وهي أن تشفع فيما تطلب، فتضمه إلى ما عندك فتشفعه، أي: تزيده، و**شفع:** طلب، و**الشفيع:** هو الشافع، والجمع شفعاء، وفي التنزيل: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾[النساء ٨٥]، و**الشفاعة:** هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقه[1].

ومن خلال استعراض معنى الشفاعة في **اللغة** يتبين معناها في **الاصطلاح**؛ حيث إن فيها معنى الأصل اللغوي وزيادة، فـ**الشفاعة اصطلاحًا:** هي التوسط بالطلب من الله ﷻ للغير، في جلب منفعة أو دفع مضرة، بشروطه الشرعية[2]، وهذه الشفاعة تكون في الآخرة، ولهذا كانت ضمن مواضيع العقيدة، وهي المعنية في البحث، أما الشفاعة في الدنيا وأحكامها، فمحلها كتب الفقه.

---

(1)انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس(٢٠١/٣)والقاموس المحيط، الفيروزآبادي (٧٣٣/١) ولسان العرب، ان منظور (١٨٤/٨)والتعريفات، الجرجاني (٢٠٣).

(2) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (٤٠٦)، اللآلئ البهية شرح العقيدة الواسطية، صالح آل الشيخ (٢٧٠/٢).

المبحث الأول: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة:

المطلب الأول: الشفاعة المثبتة:

المسألة الأولى:معنى الشفاعة المثبتة:

الشفاعة المثبتة: هي الشفاعة التي جاء إثباتها في نصوص القرآن والسنة، وهي التي تطلب من الله ﷻ، وتثبت **بثلاثة شروط:**

الأول: الإذن للشافع بأن يشفع، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة ٢٥٥][1].

الثاني: الرضا عن الشافع، قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النجم ٢٦][2].

الثالث: الرضا عن المشفوع له، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء ٢٨][3]، والرضا لا يكون إلا عن المؤمنين، فشرط الرضا متعلق بكون الشافع والمشفوع له من أهل الإيمان، حيث إن الله ﷻ لا يرضى إلا عن المؤمنين، كما سيتبيّن ذلك عند ذكر الأدلة، وقد أجمل بعضهم الشروط في شرطين: الإذن والرضا، والنتيجة واحدة، لكن التفصيل فيه زيادة توضيح، وتقابل الشفاعة المثبتة الشفاعة المنفية التي سأتناولها في **المطلب الثاني** من هذا **المبحث** إن شاء الله ﷻ.

وإثبات هذا القسم من الشفاعة بشروطه من الأمور التي تميّز بها أهل السنة والجماعة عن أهل البدع، كما سأبيّن ذلك في **المبحث الثاني** إن شاء الله ﷻ.

المسألة الثانية:أنواع الشفاعة المثبتة:

للشفاعة المثبتة أنواع، أذكرها ثم أذكر أدلتها في **المسألة الثالثة** إن شاء الله ﷻ، ومن هذه الأنواع ما يكون خاصًّا لنبيّنا ﷺ، ومنها ما هو لهو لغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، فأنواع الشفاعة ما يأتي:

الأولى: الشفاعة الكبرى في أهل الموقف يوم القيامة ليقضى بينهم، وهي المقام المحمود الذي يؤتيه الله ﷻ له.

الثانية: شفاعته في دخول أهل الجنة للجنة.

([1])انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيميّة (٢/٢٢٧).

([2])انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيّم (٧٣).

([3])انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (٤٠٦).

الثالثة: شفاعته في تخفيف عذاب بعض المشركين من أهل النار، مثل شفاعته في عمه أبي طالب[١].

الرابعة: شفاعته فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

الخامسة: شفاعته في أهل الكبائر الذين دخلوا النار فيخرجهم منها.

السادسة: شفاعته في رفعة درجات أهل الجنة وزيادة نعيمهم[٢].

وأما غير النبي ﷺ من النبيين والملائكة والصالحين فتثبت لهم أنواع الشفاعات: **الرابعة** و**الخامسة** و**السادسة**، وأما ما سواها من **الثلاث الأُول** فهي خاصة بالنبي ﷺ[٣].

المسألة الثالثة:أدلة الشفاعة المثبتة:

دل القرآن الكريم على ثبوت الشفاعة بشروطها في عدة آيات، فأثبت الشفاعة بشرط الإذن للشافع؛ قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة ٢٥٥]، قال ابن جرير_رحمه الله تعالى_: يعني بذلك: "من ذا الذي يشفع لممالكيه إن أراد عقوبتهم، إلا أن يخليه، ويأذن له بالشفاعة لهم"[٤]، ومثله قوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[يونس ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنتَ لَهُۥ ﴾[سبأ ٢٣]، وأثبتها كذلك بشرط الإذن للشافع والرضا عنه، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[طه ١٠٩]، وبشرط الرضا عن المشفوع له كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء ٢٨]، وقال: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾[مريم ٨٧]، والعهد هو الإيمان به، حيث لا يرضى ﷻ إلا عن المؤمنين[٥]، ونظير ذلك قوله:﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[الزخرف ٨٦]، فشهادتهم بالحق هي الإقرار بالإيمان الذي يوجب لهم رضا الله ﷻ، فيستحقوا الشفاعة بإذنه ﷻ[٦].

---

(١)انظر: صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب كنية المشرك، حديث: (٦٢٠٨).

(٢)انظر: إثبات الشفاعة، الذهبي (٢٠).

(٣)انظر: اللآلئ البهية، صالح آل الشيخ (٢٨٢/٢).

(٤)جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٣٩٥/٥).

(٥)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٢٥٥/١٨).

(٦)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٦٥٣/٢١).

وكذلك دلت السنة على إثبات الشفاعة المثبتة في الكثير من الأحاديث، فعن أبي هريرةﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**"(١).

ومن ذلك حديث الشفاعة العظمى لنبيّنا ﷺ يوم القيامة، فإنه من الأحاديث الثابتة المتواترة؛ فعن أبي هريرةﷺ:أن رسول الله ﷺقال:"**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم** عليه السلام **فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى**

(١)صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، حديث: (٦٣٠٤)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان،باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، حديث: (٣٣٤).

أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيًا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع"[1]، وهذه الشفاعة هي في القضاء بين العباد يوم القيامة، وهي المقام المحمود في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء ٧٩]، حيث يحمده الخلائق على شفاعته فيهم من أجل أن يقضى بينهم[2].

ومن ذلك شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**... فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدًا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة – أو خردلة – من إيمان فأخرجه، فأنطلق، فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا**

([1])صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: چ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[الإسراء ٣]، حديث: (٤٧١٢)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان،باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث: (٣٢٧).

([2])انظر جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٥٢٧/١٧).

الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله"[1]، ومن ذلك شفاعته ﷺ في استفتاح الجنة؛ فعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "**يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله ، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلًا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليمًا، فيأتون موسى، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدًا ﷺ، فيقوم فيؤذن له"**[2].

وقد دلت الأحاديث أن هذه الشفاعة لا تنال إلا لمن كان موافقًا لشروطها؛ فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول ﷺ: "**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه**"[3]، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الثابتة المثبِتة للشفاعة المثبَتة بشروطها.

المطلب الثاني: الشفاعة المنفية:

المسألة الأولى: معنى الشفاعة المنفية:

الشفاعة المنفية[4]: هي الشفاعة التي جاء نفيها في نصوص القرآن والسنة؛ لكون المشفوع فيه مشركًا، والمشرك مفتقد لشرط الرضا؛لأن الرضا لا يكون إلا للمؤمنين، والشفاعة فيه مفتقدة لشرط الإذن؛ لأن الله ﷻ لا يأذن أن يشفع في مشرك، وهي تقابل الشفاعة المثبتة[5]، فاختلال شرط من شروط الشفاعة المثبتة يجعلها منفية، وهذه الشفاعة هي التي تعلق بها المشركون قديمًا وحديثًا، وحصل الخلل في التوحيد

([1])صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث: (٧٥١٠)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان،باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث: (٣٢٦).

([2])صحيح مسلم: كتاب الإيمان،باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث: (٣٢٩).

([3])صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث: (٩٩).

([4])انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيميَّة (١١٨/١).

([5])انظر صفحة(٨٥٢) من البحث.

بسببها، قال تعالى:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يونس ١٨]، حيث عبد المشركون غير الله ﷻ، رجاء أن يشفعوا لهم عنده يوم القيامة، فبيّن سبحانه أن هذه الشفاعة التي يرجونها منتفية؛ فقال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدثر ٤٨]، قال ابن جرير_رحمه الله تعالى_: "فما يشفع لهم الذين شفَّعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد، فتنفعهم شفاعتهم"[١].

المسألة الثانية:أنواع الشفاعة المنفية:

ليس للشفاعة المنفية أنواع محصورة كما في الشفاعة المثبتة، لكنها تضم أنواعًا كثيرة، يجمعها كونها منتفية يوم القيامة؛ لفقدانها لأحد شروط الشفاعة المثبتة، فالشفاعة التي يطلبها المشركون من أوثانهم من هذا النوع، والشفاعة التي يطلبها مَن ينتسب إلى الإسلام من الأولياء والصالحين الأموات من هذا النوع، بل حتى التي تطلب من النبي ﷺ بعد وفاته منها، قال ابن تيميَّة_رحمه الله تعالى_: "فإن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعًا عند أحد من أئمة المسلمين ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابه القدماء ....، ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعًا لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك، وأسبق إليه من غيرهم، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك"[٢]، فكون طالب الشفاعة على هذه الحال واقع في الشرك الأكبر؛ فإنه مناف لشرط الرضا الذي يستلزم الإيمان.

المسألة الثالثة:أدلة الشفاعة المنفية:

جاء نفي الشفاعة في القرآن الكريم في الكثير من الآيات، ونفيها كما سبق ليس مطلقًا، وإنما نفي للشفاعة المنفية؛ قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[البقرة ٤٨]،قال السعدي _رحمه الله تعالى_: "أي شفاعة لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة"[٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴿٢٥٤﴾ ﴾[البقرة ٢٥٤]،قال

---

(١)جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٣٧/٢٤).

(٢)مجموع الفتاوى (بتصرف)، ابن تيميَّة (٢٤١/١).

(٣)تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (٥١/١).

ابن جرير _رحمه الله تعالى_:"ولا شفاعة لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به، يشفع بعضهم لبعض"[1]، قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدثر ٤٨]، قال ابن كثير _رحمه الله تعالى_: "مَن كان متصفاً بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلًا، فأما من وافى الله كافرًا يوم القيامة فإن له النار لا محالة، خالدًا فيها"[2]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[الأنعام ٥١]، قال ابن الجوزي _رحمه الله تعالى_: "أعْلَمَ ﷻ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع"[3]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ﴾[الأنعام ٧٠]، وقوله تعالى:﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[السجدة ٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾[غافر ١٨]،قال ابن كثير _رحمه الله تعالى_:"أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير"[4].

([1]) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٣٨٢/٥).

([2])تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٧٣/٨).

([3])زاد المسير، ابن الجوزي (٣١/٢).

([4])تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٣٧/٧).

المبحث الثاني: الشفاعة عند المخالفين:

المطلب الأول: المخالفون في الشفاعة:

المسألة الأولى:النافون للشفاعة المثبتة[١]:

على الرغم من كون الشفاعة من الأمور المتفق على إثباتها عند عامة طوائف المسلمين، إلا إنه قد نفى بعض المنتسبين للإسلام الشفاعة المثبتة لأهل الكبائر يوم القيامة، كـــ الخوارج الذين يرون كفر مرتكب الكبيرة واستحقاقه الخلود في النار، ويشاركهم في ذلك (أي استحقاق الخلود في النار) المعتزلة الذين استندوا في ذلك إلى شبهات نقلية وعقلية، وحملوا الشفاعة التي في يوم القيامة على أنها شفاعة للتائبين لا لأهل الكبائر[٢].

فأما النقل فقد استدلوا بما مر ذكره من النصوص في نفي الشفاعة، فحملوها على نفي الشفاعة مطلقاً[٣] حتى في حق الفساق أهل الكبائر، لا كما حملها أهل السنة على أنها في نفي الشفاعة الشركية المنفية، وأما العقل فقالوا بأن الفاسق _بناءً على مذهبهم_ مستحق للخلود في عذاب جهنم إذا مات على فسقه، فكيف يخرج منها بالشفاعة[٤]؟ ثم إن سؤال المسلم لشفاعة النبي ﷺ مع اعتقاد أنها تكون لأهل الكبائر هو سؤال للموت على الكبائر ضمناً كما يقولون[٥]، فنفوا ما ثبت من الشفاعة، وردوا ما جاء عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ بمعارضة بعضه ببعض، ومعارضة البعض الآخر بعقولهم، وسوف أعرض لأهم شبهاتهم في نفي الشفاعة بالتفصيل مع الجواب عنها في **المطلب الثاني**.

المسألة الثانية:المثبتون للشفاعة المنفية[٦]

وكما أن المعتزلة نفوا الشفاعة المثبتة، فإن هناك مَن غلا في إثباتها في غير موضعها ولغير أهلها، سواء كان ذلك في الشافع أو في المشفوع له، فجعلوا مَن ليس أهلاً في الشفاعة شافعًا، والله لم يجعله شافعًا، أو جعلوه مشفوعاً له، ولم يأذن الله تعالى

---

(١)انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٥٢/٤) وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (٢٩٣/١).

(٢)انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار (٤٦٥).

(٣) انظر:متشابه القرآن، القاضي عبدالجبار (٩٠/١) و (٦٠٠/٢).

(٤)انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار (٤٦٤).

(٥)انظر: شرح الأصول الخمسة،القاضي عبدالجبار (٤٦٦).

(٦)انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٥٢/٤) وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (٢٩٣/١).

بأن يُشْفَع له، وهؤلاء هم المشركون قديمًا الذين اتخذوا أوثانهم لتشفع لهم عند الله بزعمهم، والمشركون حديثًا من غلاة الصوفية والشيعة[1] وأمثالهم ممن ينتسب إلى هذه الأمة، ويطلبون الشفاعة ممن يدعونهم الأولياء أو الأئمة وهم أموات، فيقعون في الشرك الأكبر بدعائهم غير الله ﷻ، ثم يرجون الشفاعة بعد ذلك، وهي منتفية في هذه الحال كما سبق بيانه في **مطلب:** الشفاعة المنفية.

المطلب الثاني: شبهات المخالفين في الشفاعة والرد عليها:

المسألة الأولى:شبهات نقلية:

اعترض النافون للشفاعة الثابتة يوم القيامة باعتراضات نقلية هي في حقيقتها شبهات، أذكر بعضها مع الرد عليها:

أولًا: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[البقرة ٤٨] ونحوها من الآيات على نفي الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة، حيث جاءت الآية في يوم القيامة عامة في حق المسلم والكافر، فكما أن الشفاعة لا تجوز في حق الكافر يوم القيامة فكذلك لا تجوز في حق المسلم صاحب الكبيرة، حيث لم يخصصه الدليل[2].

الجواب:

١) أن المفسرين مجمعون على أن الشفاعة المنفية في هذه الآية هي في حق الكفار دون المسلمين، قال القرطبي _رحمه الله تعالى_: "الشفاعة إنما تنفع المؤمنين دون الكافرين، وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴿٤٨﴾ ﴾[البقرة:٤٨]النفس الكافرة لا كل نفس"[3]،وقال ابن جرير _رحمه الله تعالى_: "قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى اللهﷻ"[4]وقال ابن الجوزي_رحمه الله تعالى_: "قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ المراد بالنفس ههنا: النفس الكافرة، لا كل نفس؛ فعلى هذا يكون من العام الذي

---

(1)انظر: الحياة الآخرة، العواجي (٣٥٩/١).

(2)انظر: متشابه القرآن، القاضي عبدالجبار (٩٠/١).

(3)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٧٩/١).

(4)جامع البيان في تأويل القرآن ، ابن جرير الطبري (٣٣/١).

أريد به الخاص"[1]، وقال ابن كثير_رحمه الله تعالى_: "قوله تعالى:﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾**الآية**، يعني من الكافرين"[2].

٢) ورود الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ التي تثبت الشفاعة لأهل الكبائر، وقد أوردتُ جملة منها في **المسألة الثالثة** من **المطلب الأول** من **المبحث الأول**[3]، وهي تدل على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر المسلمين، فلا يمكن إلغاء دلالتها بمعارضتها بالآية، كما أنه لا تُلغى دلالة الآية، بل يُصار إلى الجمع بينهما، فالشفاعة المنفية هي في حق الكفار، والمثبتة هي في حق المسلمين، وهذه هي الطريقة الصحيحة في التعامل مع النصوص الشرعية.

ثانيًا: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾[غافر ١٨] على نفي الشفاعة للظالمين، وهذا عام في كل من ظلم نفسه، أو ظلم غيره بأنواع الظلم[4].

الجواب:

١) المراد بالظالمين في هذه الآية الذين وقعوا في الظلم الكامل وهو الشرك المخرج من الملة، قال ابن الجوزي _رحمه الله تعالى_: "﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾يعني الكافرين"[5]، وقد جاء إطلاق الظلم على الكفر والشرك في النصوص الشرعية، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان ١٣]،ولما نزل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: "**إنه ليس بذاك، ألا تسمعون إلى قول لقمان:** ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾"[6]،ففسر النبي ﷺ الظلم بالشرك، فدلت هذه النصوص على إطلاق الظلم على الكفر والشرك، وهو المقصود في الآية.

---

(1)زاد المسير، ابن الجوزي (٦٢/١).

(2)تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٥٦/١).

(3)انظر صفحة(٨٥٣) من البحث وما بعدها.

(4)انظر: متشابه القرآن، القاضي عبدالجبار (٦٠٠/٢).

(5)زاد المسير، ابن الجوزي (٣٣/٤).

(6) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا، حديث: (٦٩١٨).

٢) أن الآية فيها نفي لشفيع يطاع، لا نفي الشفيع مطلقاً، وفرق بين النفيين، وذلك مثل قول ما لدي ماء للشرب، فهذا لا يدل على نفي وجود الماء عندي مطلقاً، بل النفي للماء المعد للشرب، أما غيره فلا يُفهم نفيه من هذه العبارة، وكذلك الآية، فالمنفي هو الشفيع المطاع الذي يطيعه الله ﷻ، وهذا حق، فالله ﷻ أعظم وأجل من أن يطيع أحدًا من خلقه(١).

ثالثًا: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء ٢٨] ونحوها من الآيات، على أن الشفاعة مختصة بأهل الإيمان، ولا تكون لأهل الفسق والظلم والكفر، لأن الله لا يرتضي طرائقهم(٢).

الجواب: أن معنى الآية أن الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضي الله أن يُشفع له وأذن بالشفاعة فيه، وهم أهل التوحيد مؤمنهم وفاسقهم، بدليل ما ثبت عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ في ذلك أنها تكون لأهل لا إله إلا الله(٣)، ونظيره قوله تعالى: وقال: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾[مريم ٨٧]، فقد فسّر ابن عباس رضي الله عنهما العهد بأنه شهادة لا إله إلا الله(٤).

رابعًا: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾[الزمر ١٩] على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر، حيث حقت عليهم كلمة العذاب بترتيب الوعيد على ما ارتكبوه، والشفاعة إنقاذ لهم، فلا تمكن في حقهم(٥).

الجواب: أن الآية في الكفار، لا الموحدين، كما فسرها بذلك المفسرون(٦)، فالموحد ليس داخلًا فيها، فيسوغ إنقاذه بالشفاعة،كما ثبت ذلك في النصوص الشرعية.

خامسًا: الاستدلال بقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزخرف ٧٤] ونحوه من الآيات على تخليد الفساق في النار وعدم جواز خروجهم منها بالشفاعة(٧).

---

(١)انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي (٥٠٤/٢٧).

(٢)انظر: متشابه القرآن، القاضي عبدالجبار (٤٩٩/٢).

(٣)انظر:جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٤٢٩/١٨) والتفسير الكبير، الفخر الرازي (١٣٥/٢٢).

(٤)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٢٥٥/١٨).

(٥)انظر: متشابه القرآن، القاضي عبدالجبار (٥٩٢/٢).

(٦)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (١٧٥/٢١) وتيسير الكريم المنان، السعدي (٧٢٢/١).

(٧)انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار (٤٤٦).

الجواب: أن المجرمين المذكورين في هذه الآية ونحوها ممن وصف الله عذابهم بالخلود هم الكفار، كما فسرها بذلك المفسرون[1]، فلا يصح الاستدلال بها على غيرهم من الموحدين، فإنهم لا يخلدون في النار.

سادسًا: الاستدلال بقوله ﷺ: "**أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا،ليردنّ علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**"[2]على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر، حيث منعهم من شربة الماء، فكيف بما هو أعظم منها كالشفاعة[3]؟

الجواب: أن معنى هذا الحديث على الصحيح في المرتدين الكفار، الذين بدلوا دينهم بعد وفاة النبي ﷺ، لا في الموحدين[4].

سابعًا: الاستدلال بقوله ﷺ: "**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك**"[5] على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر، حيث رد على مَن طلب منه الغوث بقوله: "**لا أملك لك شيئًا**"، فدل ذلك على عدم قدرته على الشفاعة فيه وفي أمثاله من أهل الكبائر[6].

الجواب: أن هذا الحديث لا يفيد نفي الشفاعة، حيث ورد في التحذير من الغلول، وصاحب الغلول غير كافر، فيدخل في عموم الموحدين الذين تنالهم الشفاعة، وأما الاستدلال بقوله: "**لا أملك لك شيئًا**" على نفي الشفاعة فهذا غير صحيح، فالنبي ﷺ

---

(1)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (٦٤٣/٢١) وزاد المسير، ابن الجوزي (٨٣/٤) وإرشاد العقل السليم، أبو السعود أفندي (٥٥/٨)وتيسير الكريم المنان، السعدي (٧٧٠/١).

(2)صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [الأنفال ٢٥]، حديث: (٧٠٥٠)، وصحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث: (٣٩).

(3)انظر: التفسير الكبير، الفخري الرازي (٤٩٨/٣).

(4)انظر: شرح صحيح مسلم،النووي (١٣٦/٣).

(5)صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الغلول، حديث: (٣٠٧٣)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول، حديث: (٢٤).

(6)انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي (٤٩٨/٣).

لا يملك لأحد شيئًا إلا بعد إذن الله، وكذلك الشفاعة، فإنها لا تكون إلا بعد الإذن كما سبق[١].

المسألة الثانية: شبهات عقلية:

وقد اعترض النافون للشفاعة أيضًا بشبهات عقلية، أذكر بعضها مع الرد عليها:

أولًا: أن العقوبة في الآخرة تكون دائمة، والشفاعة توجب انقطاع هذا الدوام، وهذا محال، فتبطل الشفاعة[٢].

الجواب:

١) أن الأدلة على دوام العقوبة في الآخرة عامة، وأدلة الشفاعة خاصة، فيخصص العام بالخاص.

٢) أن هذه الشبهة مبنية على القول بتخليد الفساق في النار كما تقوله المعتزلة، فبنوا هذه الشبهة الباطلة على هذا الأصل الباطل، وما بُني عل باطل فهو باطل.

ثانيًا: أن القول بشفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة في أهل الكبائر وإخراجهم من العذاب، مع سؤال الله ﷻ هذه الشفاعة في الدنيا، هو طلب لأن يكون الداعي فاسقًا _ضمنًا_؛ حيث سأل الله ﷻ الشفاعة التي تكون للفساق[٣].

الجواب: أن المسلم يسأل الله الشفاعة لاعتقاده أنه لا يسلم من الذنوب، فهو يطلب من الله السبب الذي ينجيه من هذه الذنوب، كسؤال المغفرة والشفاعة.

ثالثًا: أن الشفاعة في الفاسق ونجاته من العذاب يوم القيامة ودخوله الجنة إثابةٌ لمن لا يستحق بالتفضل عليه، وهذا لا يجوز[٤].

الجواب: أن حصول الإثابة للإنسان يوم القيامة إنما هي بمحض تفضل الله ﷻ عليه، قال تعالى حاكيًا عن أهل الجنة: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[فاطر ٣٥]، وقال ﷺ:"**لن يدخل أحدا عمله الجنة**"قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "**لا، ولا أنا،**

---

(١)انظر: فتح الباري، ابن حجر (١٨٦/٦)، وشرح صحيح مسلم، النووي (٢١٧/١٢).

(٢)انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار (٤٦٤).

(٣)انظر:شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار (٤٦٦).

(٤)انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار(٤٥٠) و(٤٦٤).

إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا"[1]، فلا إشكال في الشفاعة من هذه الجهة.

(1)صحيح البخاري: كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، حديث: (٥٦٧٣)، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة، حديث: (٢٨١٦).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أشكر المولى ﷻ على إعانته لي على إنجازه، وأسأله العملَ بما علمتُ، والعلمَ بما لم أعلم، ويسرني أن أذكر أهم نتائج البحث، وبعض التوصيات.

النتائج:

١) الشفاعة مسألة عقدية متعلقة في باب الإيمان باليوم الآخر.

٢) الشفاعة عند أهل السنة والجماعة تنقسم إلى قسمين؛ مثبتة ومنفية.

٣) للشفاعة المثبتة شروط هي الرضا عن الشافع، والرضا عن المشفوع فيه، والإذن بالشفاعة.

٤) للشفاعة المثبتة نماذج: مثل شفاعاته ﷺ الخاصة يوم القيامة، وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين.

٥) الشفاعة المنفية هي التي اختل فيها شرط من شروط الشفاعة المثبتة.

٦) المخالفون في الشفاعة قسمان: قسم ينفي ما ثبت منها، وقسم يثبت ما نُفي منها، وكلاهما مخطئ.

٧) اعتمد النافون للشفاعة في أهل الكبائر على أصول عقدية في تخليد صاحب الكبيرة في العذاب، وعدم استحقاقه للثواب، فبنوا عليه منع الشفاعة فيهم.

٨) استدل النافون للشفاعة ببعض الآيات والأحاديث، وهو استدلال باطل، قائم على ضرب النصوص ببعضها، لا الجمع بينها.

التوصيات:

١) الاعتناء بالمسائل العقدية، وضبطها، لمواجهة شبهات المخالفين.

٢) التصدي لنقد تراث المعتزلة العقدي أصلًا وفروعًا؛ حيث تبناه بعض المعاصرين من العقلانيين.

المصادر والمراجع:

١) **إثبات الشفاعة**،شمس الدين، أبو عبد الله،محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز **الذهبي**، (ط١)، (١٤٢٠ه)، أضواء السلف: السعودية.

٢) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود أفندي**،أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المعروف بـــ **أبي السعود أفندي**،دار إحياء التراث العربي: لبنان.

٣) **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام **ابن تيميَّة الحراني**، (ط٧)، (١٤١٩ه)، عالم الكتب: لبنان.

٤) **تحفة المودود بأحكام المولود**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين **ابن قيم الجوزية**، (ط١)، (١٣٩١ه)، دار البيان: سوريا.

٥) **التعريفات**،علي بن محمد بن علي الزين الشريف **الجرجاني**، (ط٢)، (١٤٢٨ه)،دار النفائس: لبنان.

٦) **تفسير القرآن العظيم**،أبو الفداء، إسماعيل بن عمر **بن كثير** القرشي البصري ثم الدمشقي، (ط٢)، (١٤٢٠ه)، دار طيبة: السعودية.

٧) **التفسير الكبير = مفاتيح الغيب**،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بـــ**فخر الدين الرازي**، (ط٣)، (١٤٢٠ه)، دار إحياء التراث العربي: لبنان.

٨) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي**،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله **السعدي**، (ط١)، (١٤٢٠ه)، مؤسسة الرسالة: لبنان.

٩) **جامع البيان في تأويل القرآن**،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **أبو جعفر الطبري**، (ط١)، (١٤٢٠ه)، مؤسسة الرسالة: لبنان.

١٠) **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين **القرطبي**، (ط٢)، (١٣٨٤ه)، دار الكتب المصرية: مصر.

١١) **الحياة الآخرة**،غالب بن علي **العواجي**، (ط٢)، (١٤٢١ه)، المكتبة العصرية الذهبية: السعودية.

١٢) **الرد على الزنادقة والجهمية**، أبو عبد الله أحمد بن محمد **بن حنبل** بن هلال بن أسد الشيباني، (ط١)، (١٤٢٩ه)، دار الإمام البخاري: قطر.

١٣)**زاد المسير في علم التفسير**،جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمَّد **الجوزي**، (ط١)، (١٤٢٢ه)، دار الكتاب العربي: لبنان.

١٤)**شرح الأصول الخمسة**،**القاضي عبد الجبار** بن أحمد الهمداني، (ط١)، (١٤٢٢ه)، دار إحياء التراث العربي: لبنان.

١٥)**شرح العقيدة الطحاوية**،محمَّد بن علاء الدين عليّ بن محمد **ابن أبي العز الحنفي**، (ط٢)، (١٤٢٤ه)، مؤسسة الرسالة: لبنان.

١٦)**شرح العقيدة الواسطية**،محمد بن صالح **العثيمين**، (ط٤)، (١٤٢٧ه)، دار ابن الجوزي: السعودية.

١٧)**صحيح البخاري = الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة **البخاري** الجعفي، (ط١)، (١٤٢٢ه)، دار طوق النجاة: لبنان.

١٨)**صحيح مسلم = المسند المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**،أبو الحسين،**مسلم** بن الحجاج بن ورد القشيري النيسابوري،دار إحياء التراث العربي: لبنان.

١٩)**فتح الباري شرح صحيح البخاري**،أبو الفضل، أحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي، (١٣٧٩ه) دار المعرفة: لبنان.

٢٠)**الفصل في الملل والأهواء والنحل**،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد **بن حزم** الأندلسي القرطبي الظاهري،مكتبة الخانجي: مصر.

٢١)**القاموس المحيط**،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب **الفيروزآبادى**، (ط٨)، (١٤٢٦ه)، مؤسسة الرسالة: لبنان.

٢٢)**اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية**،صالح بن عبدالعزيز بن محمد **آل الشيخ**، (ط١)، (١٤٣٠ه)، دار العاصمة: السعودية.

٢٣)**لسان العرب**،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين **ابن منظور** الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ط٣)، (١٤١٤ه)، دار صادر: لبنان.

٢٤)**متشابه القرآن**،**القاضي عبدالجبار** بن أحمد الهمداني، دار التراث.

٢٥)**مجموع الفتاوى**،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام **ابن تيميَّة الحراني**،(ط١)، (١٤١٦ه)، مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف:السعودية.

٢٦)**مقاييس اللغة**،أبو الحسين،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (١٣٩٩ه)، دار الفكر: لبنان.

٢٧)**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف **النووي**، (ط٢)، (١٣٩٢ه)، دار إحياء التراث العربي: لبنان.